المساجلات الشعرية بالجنوب المغربي

الباحثة السالمة أرجدال
طالبة ماستر اللغة والأدب في الجنوب المغربي
كلية الآداب والعلوم الانسانية بأكادير، جامعة ابن زهر
المغرب

تقديـم

تعددت أساليب التواصل اللغوي لدى العرب، وأبدعوا في الكلام شعراً ونثراً حتى امتلأت دواوينهم بأجود ما تنتج الاذهان من إبداع حرفي جعل للكلام منزلة قصوى من القلب والعقل. ولعل موضوعنا هذا حول المساجلات، فيه ما يشفي الغليل من بديع القول وحسن الصنعة وبداهة الرد ودهائه. فالمساجلة ضرب من ضروب المفاخرة لدى العرب يأتي بالمباراة والمناقشة والمناظرة والتحدي، رغبة في التفوق وإحراز السبق في ذلك المضمار. ومساجلة جاءت على وزن مفاعلة للدلالة على الاشتراك، وهو ما يفيد اشتراك متساجلين أو أكثر في التساجل أو السجال الشعري، فشملت المساجلات أشعارا "يوجهها الشاعر لشاعر آخر فيجيبه على نفس البحر والروي، أو يتداولها في مجالسه ومسامراته، كوصف الشاي، وبث الاشواق للاخوان والاحباب، وغيرها من المواضيع التي تعبر عن امتلاكه لناصية الشعر، وقدراته على البديهية والارتجال"[1].

فلما عُرِف العرب منذ القدم بسليقتهم الشعرية كان من الأسهل ما يكون عليهم الرد في هذا المضمار، لبراعتهم الفنية ومقدرتهم البيانية وبداهتهم في الرد، لتكون المساجلات بذلك رباطاً وطيداً يجمع بين المتساجلين في وحدة اللغة والمضمون في إطار تنافسي فيه ما فيه من الحماسة والبلاغة والشجن إلى غير ذلك من المؤثرات التي ترتقي بالعلاقات الانسانية لعالم الانتاج والابداع اللغوي في جو من التنافس الأخوي، ليظهر دور الصلة وطيدا بين المواضيع وبين المتساجلين في كل ما توصلنا إليه من مساجلات شعرية في ما سنتطرق إليه لاحقا.

نعرض للموضوع من خلال الاجابة عن الأسئلة التالية: ما معنى المساجلات؟ ما الذي يميزها عن المعارضات والنقائض؟ ماهي خصائصها؟ ما هي شروطها؟ أين تتجلى وظائفها؟ ماهي أبرز نماذج المساجلات مع تحديد سياقها وموضوعها؟

المبحث الأول

1-1/ مفهوم المساجلة:

يحيلنا هذا المحور على التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفهوم المساجلة حسب ما سنورده:

أ- المساجلة في اللغة:

❖**عند ابن منظور**: "ساجل الرجل رجلا: بمعنى باراه، وأصله في الاستقاء، وهما يتساجلان، والمساجلة: المفاخرة، بأن يصنع مثل صنيعه في جري أو سقي"[2]

"وأصل المساجلة أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر، فأيهما نكل فقد غلب، فضربته العرب مثال للمفاخرة، فإذا قيل فلان يساجل فلانا فمعناه أنه يخرج من الشرف مثل ما يخرجه الآخر، وتساجلوا أي تفاخروا، ومنه قولهم: الحرب سجال، وانسجل الماء انسجالا إذا انصب. وسجلت الماء فانسجل أي صببته فانصب، وأسجلت الحوض ملأته."[3]

ليدل السجال عند **ابن منظور** على المشاركة في الفعل والتباري في الاستيقاء، بالإظافة إلى دلالة المفاخرة التي ارتبطت بالتنافس والحرب.

❖**عند الفيروز أبادي** من ساجله: باراه وفاخره. وهما يتساجلان: يتباريان. وأَسْجَلَ: كثُر خَيرُه. والناسَ: تَرَكَهم، والأمرَ لهم: أطْلَقَه، والحَوْضَ: ملأَه. وفعلناه والدَّهْرُ مُسْجَل، كمُكْرَم، أي: لا يخاف أحدٌ أحداً. والمِسجلُ: المبذول المباح لكل أحدٍ. وسجَّلَ تسجيلا: أنعَظَ، وبه: رَمى به من فوق، كسَجَلَ سَجْلاً[4] .

❖**عند الزبيدي**: "سجال بالكسر وسجول بالضم ساجله مساجلة إذا باراه وفاخره بأن صنع مثله، ويتساجلان أي يتباريان"[5]

فمعنى الكلمة يدور حول المسابقة والمنافسة والمناظرة والتحدي نظرا لحرص كلا المتساجلين على التفوق على صاحبه وإحراز السبق في مضمار المساجلة وميدانها.

ب- المساجلة اصطلاحا: يحيل معنى السجال في نصوص الأدب العربي القديم اصطلاحا على: الحرب الكلامية في قول الجاحظ في وصف **واصل بن عطاء** حين قال: "فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله."[6]

كما ورد هذا المصطلح في المقامة الشعرية للحريري مقترنا بالمناضرة والمباراة والمجاراة والمفاخرة في الحوار الذي دار بين الوالي والغلام. "...فلم ير إلا أخذهما بالمنازلة ولزهما في قرن المساجلة"[7].

ولقد ميز **توفيق الزيدي** بين فعل السجال وخطابه، وبحث في العلاقة بينهما فقال: "إن فعل السجال يصاحب خطاب السجال أحيانا، ولا أدل على ذلك مما يجري أثناء المبارزة والمنازلة من التغني ببعض الأبيات الشعرية" [8].

ويقصد بالسجال هنا أنه يماثل التباري والتنافس والرغبة في الغلبة على الخصم.

"السجال قائم على الصراع بين طرفين إما بالفعل في الحرب الحقيقية، وإما بالقول في الحرب الاستعارية، لذلك اقترن في مدونة الأدب بعبارات دالة على الحرب والغلبة والمناضرة"[9].

لقد ربط الجاحظ فعل السجال بيوم الخصام، وعند الصراع أو في الحرب. ما جعل السجال حرب كلامية قائمة بين طرفين ويشي بالتساوي بينهما.

المساجلة إذن ضرب من ضروب المفاخرة والتباري بين اثنين أو أكثر في أبيات شعرية موزونة بنفس الروي والقافية على نفس الخصائص والوظائف، لتكون بذلك أعم وأشمل من النقائض والمعارضات. فالمساجلات تختلف عن النقائض من حيث اختلاف هذه الأخيرة في الأوزان، والمضامين. وتختلف عن المعارضات من حيث التضاد والتعارض في الموضوع إذ تقتضي نصا لشاعر سابق ثم يأتي شاعر بعده يرد عليه، وقد تأخذ شكلا من المحاكاة الساخرة، فما الذي يميز المساجلات عن المعارضات والنقائض؟

1-2 /تمييز المساجلات عن النقائض والمعارضات.

أ- تعريف النقائض:

➢ **جاء في لسان العرب** أن (النقائض) لغة: جمع (نقيضة)، من (نقض) البناء إذا هدمه، والحبل إذا حلّه. وضده (الإبرام) يكون للحبل والعهد. و(ناقضه) مناقضة: خالفه. و(المناقضة) أن يتكلم بما هو ضد معناه. و(المناقضة) في الشعر أن ينقض الشاعر ما قاله الأول فيجيء بغير ما قاله.[10]

➢ **أما النقائض اصطلاحاً**: أن يتوجه الشاعر بقصيدة يهجو بها شاعرًا آخر، ويسخر منه ومن قبيلته، ويفخر بنفسه وقومه، وبما لهم من أمجاد ومكانة، فيجيبه الشاعر الآخر بقصيدة أخرى، وغالبًا ما تكون القصيدة الثانية على وزن القصيدة الأولى، وعلى القافية نفسها ناقضاً كثيراً ما جاء به الشاعر الأول من معانٍ وصور، ومضيفاً إلى القصيدة فخراً وهجاءً.[11]

ومن الصعب تحديد نشأة النقائض، ولكن يمكن القول بأنها موجودة منذ الأزل منذ أن أدرك الانسان ذاته، ومن هنا فالنقائض كانت موجودة في العصر الجاهليّ، كما أكد (**أحمد الشايب**)[12] في إشارته إلى أن بذور النقائض كانت موجودة قبل العصر الأموي، ويضيف قائلاً بأن النقائض تطوير لفن الهجاء، ومن الأمثلة على النقائض في العصر الجاهليّ ما جرى بين **الحارث بن عباد**[13] و**المهلهل**[14]، حيث يقول **الحارث** في قصيدته:

قَرِّبا مَرْبَطَ النّعامَةِ مِنّي *** لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عَنْ حِيالِ.

فيرد **المهلهل** على ذلك بقوله:

قَرِّبا مَرْبِطَ المِشهّر مِنّي *** لِكُلَيْب الّذي أَشابَ قَذالي .

ومن أهم الطرق والأشكال التي اتبعها شعراء النقائض في نقض القول ما يلي:[15]

*القلب، بمعنى يقول الشاعر الأول هجاءً فيرد عليه الثاني قالباً عليه معانيه ذاتها؛ باعتبار أنها من صفات الأول. المقابلة أو الموازاة، وهي أن يضع الشاعر أقوالاً من المفاخر أو الصفات، بحيث تكون مقابلة لما قاله شاعر آخر وتكون مناظرة لها.

*التوجيه، ويكون ذلك بأن يتناول شاعران حادثة معينة ويفسر أنها على نحو يؤيد موقف كل منهما سواء في الفخر أو الهجاء .

*التكذيب أو تنازع المآثر، وذلك أن يدّعي كلّ شاعر لنفسه أو لقومه مأثرة بعينها وينفيها عن الآخر.

وتطور مصطلح النقائض ليدل أكثر على السخرية والهجاء والفكاهة، ومن أبرز الرواد في هذا الفن، ثلاثي النقائض؛ (**جرير**[16]، **الأخطل**[17]، **الفرزدق**[18])، حيث أحيوه وكانوا أبرز قائلي هذا النوع من الشعر، وما ساعدهم في أن يبرزوا في ذلك قدرتهم الكبيرة على النقاش والحوار والجدال، والناظر لشعرهم سيجد الكثير من المعاني والأفكار التي غابت عن ذهن الكثيرين، بحكم اطلاعهم الواسع على التاريخ والنظر في ماضي الآخر ومعرفة كل صغيرة وكبيرة في ما يتعلق بتاريخ حياته، ومن ذلك قول **جرير** للأخطل:[19]

بَكَى دَوْبَلُ، لا يَرْفَأُ اللهُ دَمَعَهُ *** أَلا إنَّما يَبكي منَ الذُلِّ دَوْبَـلُ

فقال **الأخطل**: والله ما سَمّتْني أُمّي دَوْبلاً، إلّا وَأنا صَبِيٌّ صَغيرٌ ثُم ذَهَبَ ذلِك عَنّي لَمّا كَبُرْتُ

ب– تعريف المعارضات:

➢ **المعارضة لغةً**: على عدة أوجه، فيُقال عارض الشخص بالمسير أي سار، ومشى حياله، ويقال عارض الكتاب بالكتاب أي قابله، وعارض الشخص بمثل ما صنع أي أتى بمثل ما فعل.[20]

➢ **اصطلاحاً**: تم تعريف شعر المعارضات بأنّه نظم شعرٍ موافق لشعرٍ آخر في موضوع معين، حيث يلتزم نظم الشعر الآخر في قافيته، وبحره، وموضوعه التزاماً تاماً يحرص فيه الشاعر على مضاهاة الشاعر المعَارَض في شعره إن لم يتفوق عليه، وقد يلجأ الشاعر إلى هذا النوع من الشعر عندما يرى في شعر غيره من الشعراء ما يمتاز به من فصاحة، وروعة صياغة، أو صور معبرة، وغيرها من أمور تثير في نفسه العجب.[21]

من معاني المعارضة في اللغة المحاذاة، أو المقابلة. والمعارضة الشعرية تعني أن يُعجب شاعرٌ ما بشعرٍ سابقٍ عليه يعدّه نموذجًا جيّدًا له في الصّياغة والأسلوب، فينسج قصيدةً جديدةً على منواله، ويجعلها متّفقةً مع ذاك الشعرِ في

الوزن والقافية، لكنّه يحاول أن يطوّر داخل قصيدته معانيَ جديدة ليُضيف على معاني القصيدة الأولى فلا يكرّرها من جهة، وليُظهر تفوّقه على شاعرها القديم من جهةٍ أخرى.

من أشهر المعارضات في تاريخ الشعر العربي، معارضات شعراء الأندلس لشعرِ المشارقة. كما أنّ في الشعر الحديث نماذجَ كثيرة لمعارضاتٍ حديثة يعتبر الشاعر **أحمد شوقي**[22] إمامها ورائدها، حيث إنه عارض كل من شعراء العصر القديم، فعارض **البحتري**[23] في الوصف، و**المتنبي**[24] و**أبي تمام**[25] في الحماسة، و**البوصيري**[26] في المدائح النبويَّة، و**ابن زيدون**[27] في الغزل. ومن أمثلة ذلك: قول **البحتري** في قصيدته الشهيرة التي وصف بها إيوان كسرى، من بحر الخفيف ومطلعها :

صُنْتُ نَفْسي عَمّا يُدَنّسُ نَفْسي *** وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدا كُلِّ جِبسِ

وَتَماسَكْتُ حينَ زَعْزَعَني الدَّهْ *** رُ إِلْتِماساً مِنْهُ لِتَعْسي وَنَكْسي

قول أحمد شوقي معارضاً البحتري بقصيدته التي وصف بها آثار المسلمين في الأندلس من بحر الخفيف، ومطلعها:

اِخْتِلافُ النَّهارِ وَاللَّيْلِ يُنْسي *** أُذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أُنسي

وَصِفا لي مُلاوَمةً مِنْ شَبابٍ *** صُوِّرَتْ مِنْ تَصَوُّراتٍ وَمَسِّ[28]

1-3 /خصائص المساجلات:

تقام المساجلات بين شخصين فأكثر، يجمعهم فضاء شاعري حميمي، بحيث ينظم شاعر بيتا أو أكثر حول موضوع معين، فيجيبه الآخر على نفس المنوال بنفس البناء، ملتزماً نفس الروي والقافية، وهي آنية مرتجلة. وقد أسهمت العلاقات الاجتماعية والثقافية المترابطة بين المغاربة شرقا وغربا، شمالا وجنوبا في ازدهار هذا اللون الشعري، "فقد وجدوا أنفسهم أمام ثلة من الأدباء والعلماء والشعراء، الذين يشيدون بأعمالهم وفضائلهم، {..}، ويزورونهم من حين لآخر، يتبادلون معهم ملح الأشعار ونوادر الأخبار. {..} ويشيدون بهم وبخصالهم وأفكارهم ومكانتهم الأدبية الرفيعة، ويتخذون الشعر وسيلة لذلك."[29]

نختزل خصائص المساجلات بسوس فيما يلي:

✓ **تختص في النظم الشعري**: بحيث تكون الأبيات المتبادلة بين الشعراء بنفس الروي والقافية، وبنفس عدد الأبيات.

✓ **آنية ومرتجلة:** إذ لا بد أن تكون الجماعة المؤلفة من شخصين فأكثر تجتمع في مسرح واحد، تحت سقف واحد، بحيث يرتجلون الشعر بعفوية وطلاقة.

✓ **وحدة المضمون:** فتدور النظم حول موضوع واحد قد يكون إعجابا متبادلا، أو ترحيبا بالضيف، أو تنويها بعلم وآداب وأخلاق المخاطب، أو النصح والإرشاد، إلى غير ذلك من المضامين.

✓ **وحدة الأهداف:** فتجتمع نوايا المتساجلين في تحقيق هدف واحد يوطد للعلاقة بينهم، ويبرز في التنافس والتباري فيما ينتجونه من ردود شعرية يتبادلونها بينهم.

✓ **خلق جو من التنافس والتباري:** بحيث يحاول كل طرف نظم ما يجاري وينافس به الطرف الآخر بنفس البناء ونفس الروي والقافية.

✓ **توطيد الصلة:** من خلال زرع الألفة والمحبة بين المتساجلين في الشعر إن كانوا مشايخ أو تلامذة أو علماء، أو جماعة مختلطة من هذه الفآت.

✓ **تأريخ الأحداث:** من خلال المساجلات الشعرية الترحيبية التي يرحب بها المتساجل بضيفه ويذكر فيها اسمه وخصاله ومناسبة الزيارة وما يجلبه له من سرور وانشراح، فيرد الزائر بمثل ذلك وأحسن.

✓ **جمع المادة الثقافية:** لأن هذه المساجلات تكون غنية بالمواد الثقافية كالتغني بالشاي، وبطقوس الضيافة، وما يدور في تلك الاجواء الشاعرية من مفاخرة وتودد وغيرها من الاغراض، كما قد تأتي المساجلات للتغني بالاعراس ووصف العرسان والمفاخرة بأنسابهم ويحضر هذا كثيرا في ليالي السمر بأعراس الصحراء.

4-1 / شروط السجال:

تشترط المساجلات مجموعة من القواعد والقوانين نوردها كما يلي:

✓ **أن تكون بالعربية الفصحى.** "فكان الفاسيون يتعجبون من أهل كلام الشلحة. يرتقي أحدهم في الفصاحة العربية ذلك الترقي. ويمكن له من رطانته ولهجته التي تربى بها التوقي. فأكدوا أن أجمع لهم ما لدي من أقوال هؤلاء الأدباء الذين عرفتهم."[30]

✓ **أن تجمع فردين أو أكثر.** "وكان من بين من يلزم بيتي الأديب الفقيه سيدي **محمد بن عبد الله الزدوتي**[31]. والأديب الفقيه **سيدي إبراهيم بن محمد السكتاني**[32]. والفقيه الأديب **سيدي محمد بن الحسن الهلالي** –الايلالني–[33]. والأديب الفقيه **سيدي محمد بن أحمد الرسموكي**[34]"[35].

✓ **أن تصب في فحوى موضوع التساجل.** "فهؤلاء الأدباء الأربعة من كنت معهم ممتزجا امتزاج الماء بالراح. ومتشاركين في ذوقنا في الأدب اشتراك الأصابع في الراح."[36]

✓ **أن تكون أبيات المتساجلين بنفس الروي والقافية والبحر.** فشملت المساجلات أشعاراً "يوجهها الشاعر لشاعر آخر، فيجيبه على نفس البحر والروي، أو يتداولها في مجالسه ومسامراته، كوصف الشاي، وبث الأشواق للاخوان والأحباب، وغيرها من المواضيع التي تعبر عن امتلاكه لناصية الشعر، وقدراته على البديهية والإرتجال."[37]

✓ **أن تكون مرتجلة** بحيث يتدرج المتساجلون في ذكر نظمهم الواحد رداً على الآخر. "فكان أحدهم حين يُوَجّه إليه خصمه قصيدة سرعان ما يرد عليه بأخرى {..} باذلا أقصى ما يمكن من التجويد ومُظهِرا كل ما لديه من إمكانيات فنية"[38].

✓ **أن تكون في نفس المجلس وفي نفس الحين**. "و(تارودانت) إذ ذاك لم تزل في حفظ السعد. لم يرمقها الدهر بنحسه بعد. فكان جل الأدباء الغرباء ممن لي بهم اتصال. فأقوم بمئونة بعضهم عندي. فكانوا كلما فارقوا الخليفة جلسوا في بيتي. فيحكون لي ما كانوا فيه من مساجلات ومحاورات. فكنت أقيد بعض ما يذكرون فأحفظه."[39]

✓ **أن يراعي المتساجل فيها شرط المنافسة والمباراة**. "ولعل السبب في ذلك أن الأعم الاغلب من أولئك الشعراء تخرجوا من مدرسة الشعر الجاهلي ومن ثمة كانوا يقدمون على المساجلة مستعينين بكل مدخورهم الثقافي ومعرفتهم بأيام العرب وتاريخهم ومناقبهم ومثالبهم"[40] .

خلاصة

نخلص إلى أن السجال يخلق نوعا من التباري والتنافس حول الموضوع الواحد في الجلسة الآنية المرتجلة بين شاعرين أو أكثر، يحاول كل منهما أو منهم إفحام الآخر والتغلب عليه لنهج نفس الروي والقافية على نفس الخصائص والوظائف، وهو ما يجعله أعم وأشمل من النقائض في تركيز المتبارين فيها على نقض ما جاء به المنافس وهجائه بشكل ساخر فكاهي مضحك أحيانا يبرز لمتنافسين قدرة كبيرة على الحوار والجدال والنقاش، في حين يمتاز شعر المعارضات عن هذين النوعين بالاقتضاء حيث يقتضي شاعر بآخر سابق له، يكون معجبا بفصاحة وروعة صياغة شعره، فينسج على منواله قصيدة بمعاني جديدة يسعى من خلالها التفوق على هذا الشاعر. وقد نهل شعراء سوس منذ دخول الاسلام من العلوم الاسلامية و علوم اللغة العربية وآدابها، لينفتحوا على التساجل بينهم، وبينهم وبين غيرهم من القبائل العربية التي احتكوا بها في جلساتهم ومسامراتهم، حتى أنهم ليعبرون بها عن قضاياهم وانشغالاتهم وتطلعاتهم، محاولين بذلك التمكن من اللغة العربية الفصيحة، ومضاهات غيرهم من شعراء المحيط ممن يتقنون اللغة العربية الفصيحة بصدر رحب وروح منفتحة كلها حب وتشوف للاطلاع على معالم الدين الاسلامي الحنيف، وهو ما سنحاول التطرق إليه من خلال المبحث التالي، من خلال الاطلاع على وظائف المساجلات بهذه الرقعة من الأرض، وادراجنا لنماذج معينة رأينا أنها الانسب في اشتمال مجمل قضايا مجتمع الجنوب المغربي انطلاقا من (سوس) نحو الصحر في حقبة بلغ فيها الابداع الجنوبي مبلغا ونبغ فيها فقهاء وأدباء تركوا للساحة العلمية والادبية زادا علميا وافرا لاسيما في عهد **محمد العالم بن المولى اسماعيل**، الذي حكم تارودانت خلال القرن الثامن عشر إلى أن تم أسره في الرابع من يوليوز سنة 1706م من طرف والده السلطان بعد تمرده عليه، ومات إثر معاناته في نفس السنة.

المبحث الثاني

2-1/ وظائف المساجلات:

✓ **وظيفة اجتماعية:** فتكون المساجلات غالبا في المسامرات وجلسات الشاي، وتوطد للعلاقات بين المتساجلين من خلال الموضوعات الاجتماعية التي تتطرق إليها، كالتهنئة بالشفاء من المرض، التحية والسؤال عن الحال والأحوال، فيما يخص حال الناس والمدن والقرى والبوادي إلى غير ذلك ممن يهتمون لشأن أحبابهم وأقاربهم حين البعد عنهم، وحتى يتحقق لهم التواصل والاطمئنان على أوضاع بعضهم البعض، كما تقوم المساجلات على وصف الثقافة الاجتماعية فيما يخص طقوس الشاي والعرس والعقيقة وما إلى ذلك من المناسبات، ولعل هذه المساجلات منهلا لاستخلاص المواد الثقافية المتنوعة التي تزخر بها المناطق المغربية عامة واجنوبية خاصة. ومن أمثلة ذلك مساجلة وردت في "**سوس العالمة**" بقلم **محمد المختار السوسي**[41]: [42]

وقالت الفئة الماثلة في حضرة **محمد العالم** في وصف مجلس شراب، قال **محمد العالم** مفتتحا المجالسة على عادته مع الأدباء: هذي الكُؤوسُ مُشَعْشَعاتُ الرّاحِ *** فانْهَضْ نُلَبِّ نِداءها يا صاحِ

ابراهيم الجشتاني[43]: ما عُذْرُ مَنْ تَرَكَ العَقارَ بِرَوْضَةٍ *** زُهاءَ بين مُنادِماتٍ صَباحِ

محمد بن الحسن الإيلاني: فالوَقْتُ طابَ وَبُلْبُلُ الأغْصانِ قَدْ *** ملأَ الرِّياضَ بِصَوْتِهِ الصَّدَّاحِ

محمد بن أحمد الرسموكي: وَالرَّوْضُ أَزْهَرَ وَرْدُهُ بِخُدودِهِ *** والياسَمينُ بِلَوْنِهِ الوَضّاحِ

محمد بن عبد الله الزدوتي: فَكَأَنّ مُبَيِّضَ الزُّهورِ مَنْضَراً *** حَبَّبَ الرَّحيقَ أَعالي الأقْداحِ

{...}

وهنا وصف لمجلس الشراب –ويقصد به الشاي لأن المساجلة وقعت في مجلس الخليفة **محمد العالم** برمضان– وما فيه من انتشاء بمسامرة الكأس وقد طغى على الأبيات فيها معجم الطبيعة، كما لم يتعد المتساجلون بيتا واحدا.

✓ **وظيفة علمية:** لتحصيل الفوائد واختصار العلوم، والشروحات الفقهية والنحوية في نظم تجعلها سهلة الحفظ والنقل، مما يسهل على الدارسين والمهتمين إشفاء غليلهم فيما يبحثون عنه من علم وأدب وفن. "ويقول **أبو زيد الجشتيمي** يخاطب أحد أهله مستفزا لهمته من أول قطعة لم نقف منها إلا على هذا القدر:

إذا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ نَحْوَ العُلا عَزْمٌ *** فَلا الأَبُ يُعْلي شَأْنَهُ لا، ولا الأُمُّ

تَنامُ وَتَبْغي أَنْ تَنالَ مَراتِباً *** زَلَلْتَ وَأَخْطا ما تُحاوِلُهُ الوَهْمُ

بِغَيْرِ الجَناحِ لا تَطيرُ إلى السّما *** بِزاةٍ فَكَيْفَ الطاّمِحونَ وإنْ هَمّوا"[44]

✓ **وظيفة تأريخية:** فكانت المساجلات في بداياتها حول "دخول الشاي إلى المغرب" وحول حليته وتحريمه، ونقل مؤلف **نفحات الشباب** لفترة حكم جيش عبيد البخاري من خلال مساجلات حول السود، كما ساهمت المساجلات في التأريخ للحروب والغزوات والأحداث التاريخية عبرالمقاومة الشعبية للإستعمار الأجنبي، فقال **شيخنا الإفراني**[45] في قصيدة طويلة يخاطب الشيخ **أبا العباس الجشتيمي**[46] يذكر ما يهدد المغرب من الاحتلال سنة 1325هـ:

فَيا بَدْرَ أُفُقِ الدينِ يا ليْثَ غابَةٍ *** ويا غوثَ مَلْهوفٍ ويا خَيْرَ مُنْجِدِ

تدارَكْ ذَماءَ الدينِ واسمع صريخَهُ *** وشَمِّرْ إلى نَصْرِ الهُدى وَتَجَلّدِ

وكادَ بِأنْواعِ المكايِدِ أهْلَهُ *** وَصارَ يُنادي خامِري وَتَلَبُّدي[47]

✓ **وظيفة ثقافية:** تعددت المظاهر الثقافية في كتب الرحلة للرحالة السوسيين من خلال المساجلات المنقولة في مؤلفاتهم، ومن خلال ما ورد في مؤلف المعسول، **للمختار السوسي** حيث يقول فيما نقله عن القاضي **سيدي موسى الروداني**[48] في الفصل الأول من الجزء الثامن عشر: "في الجلسة التي خلوت معه فيها أفضى إليّ بكثير مما أحكيه عنه {...} في نفي المشتغلين بالخير عن بلادهم قول **ابن عنين**[49]:

انْفوا المؤذن مِنْ بِلادِكُم *** إنْ كانَ يَنْفي كُلّ مَنْ صَدَقا

وأنشد أيضا: ولَمّا مَضى فَقْري وَأيّامَ فاقتي *** وَساعَدَ دَهْري بِالغِنى نَفَدَ العُمْرُ

وأنشد في معرض السكوت رغم أنف الإنسان عما يأباه. ما قاله **مصعب بن عبد الله بن الفرضي** الأندلسي:

الحَمْدُ لِله على أَنّني *** كَضَفضَعٍ في وَسَطِ اليَمّ

إنْ هي قالَتْ مَلأَت حَلْقَها *** أو سَكَتَتْ ماتَتْ مِنَ الغَمّ

وأنشدته بمناسبة قول **المتنبي**[50]:

إذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَريمَ ملَكْتَهُ *** وَإنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللئيمَ تَمَرَّدا

فَوَضْعُ النَّدى في مَوْضِعِ السَّيْفِ بالعُلا *** مُضِرٌّ كوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ الندى

فأنشد في معناه:

إنّ الصّنيعةَ لا تَكونُ صَنيعَةً *** حَتّى يُصابَ بِها طَريقُ المِصْنَعِ

فإذا صَنَعْتَ صنيعةً فاعْمَدْ بِها *** لِلّه أوْ لِذَوي القَرائِبِ أوْ دَعِ[51]

نقل القاضي **سيدي موسى الروداني** بعضاً من الوظائف الثقافية التي يلزمها السوسي في مواضع عديدة كالنفي والسكوت في مواضع الإحراج عما يأباه الانسان.

✓ **وظيفة تداولية:** تنقل ما هو متداول بين جماعة الفقهاء والادباء والعلماء قصد دراسته والتشاور فيه وأخذ الرأي من أهل الحكمة في الموضوع، فهي تخلق تواصلا بين المتساجلين من مختلف الأقطاب وعلى مختلف المشارب، قصد مبادلة الآراء في النوازل من المحدثات في منظومات شعرية يتداولونها في ما بينهم، ومن أمثلة ذلك ما نقله **المختار السوسي** في مؤلف المعسول من الجزء الثامن عشر فيما يتداوله جماعة الفقهاء والعلماء والأدباء في مجالس الخليفة "**محمد العالم**" : فدخلنا مجلس العلماء. وهم نحو ثلاثين. وما منهم إذ ذاك إلا عالم كبير. كسيدي **محمد السملالي** حفيد الشيخ **سيدي عبد الله بن يعقوب**. و**سيدي محمد بن محمد العباسي**[52]. وكان الذي يتولى الدرس بين يدي الخليفة أحد العلماء الذين جاؤوا معه من مكناس وإنما يسرد الآخرون مناوبة أحيانا. {...} وكان الخليفة هو الذي يثير البحوث. ويجيب كل من يجاذبه فيه".[53]

ومما أعجبني ذكره فيما وقعت عليه عيناي في جزء المعسول المتناول في مساجلة بين الرسموكي والخليفة في منزل للخليفة يجلس فيه. ويشرف على بستان. فيه أشجار حولها كوم رمل. فقال له أجز:

اخْتِيالُ الغُصونِ في الأحْقافِ***

فقال: كاخْتِيالِ القُدودِ في الأرْدافِ

فاعجب به الخليفة لأنه أجاب بديهة. من غير تأمل. ثم أشار الخليفة إلى أغصان وقد مالت نحو أزهار. فقال: بانيا على ما تقد: مائِلاتٌ إلى الزُّهورِ كَما ما ***

فسكت الخليفة في نصف الكلمة. فقال **الرسموكي**: لَتْ قُدودُ الحِسانِ عِنْدَ اقتِطافِ

فلم يملك الخليفة إلا أن قال للمكناسي من أهله: هكذا تكون القرائح والأفكار المتقدة.[54]

✓ **وظيفة نقدية:** تتمثل في نقد المظاهر الاجتماعية والسياسية لأوضاع البلاد، ونقد الآخر المخالف لبيئة وثقافة الرحالة من خلال كتب الرحلات، إذ نقل **المختار السوسي** مساجلات ينتقد فيها السوسيين الأوضاع السياسية لمدينة تارودانت من خلال مؤلف "نفحات الشباب" لمؤلف روداني مجهول، فترة حكم جيش البخاري بعد وفاة **محمد العالم**، "والأزمات الخانقة التي عرفتها تحت سلطة العبيد بعد وفاة **محمد العالم**، والتي لحقت مختلف مظاهر العمران والأحوال الاجتماعية، ولم يبق منها سوى الذكريات، التي لا يمكن الحديث عنها، إلا خلف الأبواب الموصدة..."[55]

وكانت مجالس العلماء بمجلس الخليفة مما يناقش فيها مسألة السرقة العلمية، ففي أحد المجالس في مسألة مقابلة **النابغتين الذبياني**[56] و**الجعدي**[57] في الفصاحة اللسانية، التي اقترحها الخليفة، لما سمع البيت على لسان **الزدوتي**:

معارفٌ تطْمو مِن لسانٍ كأنّهُ *** لِسانُ أخي ذُبْيانَ أو لهْجَةُ الجَعْدي

فسأل عن المقصود بقول الشاعر؟ فسكت الحاضرون رغم إعطائهم فرصة للتأمل إلا أنهم توقفوا عن الجواب، فالتفت الخليفة إلى المكناسيين فقال: لا يمكن أن يقر أحد من أهل الحضر بعجزه كما أقر هؤلاء. وهم يرون إقرارهم شرفا. وأهل الحضر يرونه عارا وشتان ما بين أخلاق الناس. ولما وصل قوله: نُعيذُكَ يا مولايَ أن تحسِبَ اللّقا *** عظيماً وذر النّمْلِ في الوَهْدِ كالطّوْدِ

قال **الخليفة**:

ألم تكن تحفظ قصيدة المتنبي التي أولها؟: واحرَّ قَلْباهُ ممن قَلْبُهُ سئيم (إلخ)

قال: نعم،

قال: نظرت في بيتك هذا إلى قوله:

أعيذُها نَظَراتٌ مِنْكَ صادِقَة *** أَنْ تَحْسَبَ الشّحْمَ فيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ

فكان **الزدوتي** استحيى. فقال له الخليفة لا بأس. فقد تركت **المتنبي** وورمه وملت إلى عظمة اللقا. وعظمة الطود. فأما أنا فلا أسمي مثل هذا سرقة. وإن كان هذا –وأشار إلى المكناسي– يسمي كل شيء مثل هذا سرقة. وذلك عندي غلط. والبيت حسن ملائم للقصيدة. كما أن بيت المتنبي ملائم لقصيدته. ثم قال الخليفة ان الكتب التي يشتكي من قلتها أهل البادية. قد جهل قيمتها أهل المدن الموجودة عندهم. فعندنا في مكناس خزانة عظيمة لا أرى من يطالع فيها إلا قليلين. ثم ختم **الزادوتي** قصيدته. فجازاه الخليفة خيرا.[58]

2-2/ نماذج من المساجلات السوسية:

إرتأيت حسب ما أوردته سلفا إلا أن أنقل البعض مما ورد من المساجلات في نفحات الشباب، فترة حكم **محمد العالم بن المولى إسماعيل** لتارودانت، وخليفته على سوس، مع تحديد موضوعها وسياقها كالآتي:

➢ **الموضوع الأول**: نزول **السكتاني**، و**الزدوتي**، و**الهلالي** عند الخليفة "**محمد العالم**" بتارودانت شهر رمضان:

- **السياق**: حضر الفقهاء الثلاثة: "**سيدي إبراهيم السكتاني**"، "**سيدي محمد الزادوتي**"، "**سيدي محمد الهلالي** –الايلاني–" تارودانت، قادمين من فاس، ليسلموا على الخليفة وليحضروا معه "**سرد البخاري**" وضيفهم في بيته "مؤلف كتاب نفحات الشباب الروداني المجهول" الذي لقبه الثلاثة ب**الحارث بن همام** لضلوعه في الأدب، فقد

كان يعيش مفردا مع خادمه العجوز بعد وفاة والده لأشهر، وكان عازبا ميسور الحال، فحملته محبة الأدب على استضافتهم، إلى أن لحق بهم الضيف الرابع "**سيدي محمد بن أحمد بن محمد الرسموكي**" الذي لقبوه كذلك بأبو زيد لبراعته في الإبداع الشعري. فغدا الثلاثة الأولون في اليوم الثاني إلى باب الخليفة، وهم لايقصدون إلا أن يحضروا مجلس العلماء الذين قدموا من كل جهة، باستقدام الخليفة وبغيره، فلما مثلوا أمامه سلموا عليه، فسألهم عمن قرؤوا، فوجدهم كلهم في أواخر قراءتهم ب "**فاس**"، وبعد أن سألهم عن مسائل عدة، بغته منهم ما عُجِبَ منه، فقد وجدهم حفظوا كلهم المقامات، وحفظوا قصائد **المتنبي** و**البحتري** و**أبي تمام** و**جرير** و**الفرزدق** و**الأخطل** و**أبي فارس**[59] و**بشار**[60] و**مسلم بن الوليد**[61] فضلا عن المعلقات. فلا زالوا يتجاذبون أطراف الحديث حتى وقعت بينهم المساجلة التالية:

ثم أطرق الخليفة لحظة. ثم رفع رأسه وقال: أجيزوا هنا البيت متتابعين، يبني كل واحد على ما قبله.

خِلْياني سَبَقَ السيفُ العَذَلَ *** حَشْوَ أُذُني صَمَمٌ عَمّنْ عَذَلَ

ففكروا كلهم فإذا **بالسكتاني** –وكان أبده الجماعة–

قال: قَضى الأمر فأصْبَحْتُ لقى *** بِلِحاظٍ لا بِبَيْضٍ واسلِ

فكاد الخليفة يهتك وقاره استحسانا للبيت. وبعد لحظة قال **الزدوتي**:

منْ يَكُنْ يَشْكو جِراحاتَ الظِّبا *** فأنا أَشْكوا جِراحاتَ المُقَلْ

فانتفض الخليفة فلم يملك أن يمد إليه يده بالمصافحة. فأهوى إليها الزدوتي مقبلا. فقال له: ما أعجب من تكنهم جبال (سوس) من بلغاء عظام. ثم انتظر ما يقوله الآخر. فبعد لحظة قال **الهلالي**:

فلْيَزُرْني لِيَرى كَيْفَ الهَوى *** مَنْ يَرى أَنّ الهَوى أَمْرٌ جَلَلْ

فقال **الخليفة**: لا فض فوك أيها الأخير. فقد كنت أحسبك تتأخرعن حلبتك. فإذا بك بينها بلا تقدم ولا تأخر. ثم قال لهم: ها أنتم جئتم إلي ولابد لكل قادم من تحفة. وتحفة الأديب قصيدة يقدمها أمامه فهل صنعتم شيءً؟ فقالوا: لم نصنع شيءً. لأننا ما كنا نحسبك –يا مولانا– في مثل هذا المقام العالي في الأدب. وقد كنا نعهد إلى (سوس) من لا يرفعون للأدب رأسا. أو يسوون بين الشعرور والشاعر. لذلك طلقنا الأدب في مجامع الفقهاء. وانخرطنا في المفتين والعدول. ولم نقدم على حضرة سيدنا إلا بصفة فقهاء. لكن حينما بدا لنا ما بدا. فليبلعنا سيدنا الريق ثم نقدم ما تيسر غداً أو بعد غدٍ. وكان الذي يتولى الكلام هو **السكتاني**. لأنه أسن القوم، وأجرؤهم وأشجعهم. وأكثر مخالطة للعمال. ثم قال لهم: إننا سنوصي على منزل يفرغ لكم تنزلون فيه ومؤونتكم تأتيكم في كل وقت. مع لزومكم للباب. ولمجالس البخاري دائما.

ثم أفرغ على واحد كسوة تامة. أمرهم أن يلبسوها ثم يرجعون إليه. قال **السكتاني**: فخامرني حياء عظيم من هذا الاعتناء. فقلت في نفسي لابد من بيتين فذين الآن أرتجلهما –وأنا ألبس الكسوة– أقدمهما له فكان هذا ما سنح:

ما المَوْجُ في أزْبادِها. ما السُّحُبُ في *** أمْطارها. ما الرّيحُ في أعْصارِها

أَنْدى وَلا أَسْخى بِما ضَمَّتْهُ مِنْ *** راحاتِ مَوْلانا لَدى إيثارِها

فأنشدتهما له فقال: هل هذا ابن ساعته؟ فقلت نعم يا مولانا نفحة من نفحات الحلة العطرة. فتناول كناشه فكتبهما بيده. ثم أومأ إلينا الحاجب الواقف مع العبيد. فخرجنا. ثم تبعنا عبد فقال: إن الخليفة أمرني بتهيئة دار لكم. فقلنا له أننا نزلنا عند إنسان لا نبغي به بديلا. فإن احتجنا إلى دار بعد أعلمنا مولانا بذلك".[62]

➢ **الموضوع الثاني: مساجلة في خيل الحلبة بألوانها وسواد ركابها، وأصوات مدافعها.**

- **السياق:** بعد مضي نحو ثلاثة أشهر على غياب جماعة الفقهاء، أرسل إليهم الخليفة يستعجل حضورهم، وكان من بين المساجلات التي وقعت بينهم هذه التي تدور حول الموضوع المحدد أعلاه:

فأطرق الخليفة كأنه ينسج مطلع المساجل. فتأتى لي هذا المطلع. فقلت له قد حضر مطلع يا سيدنا فقال: قل.

فقلت: سَوابِقُ مَوْلانا بُروقٌ لوامِعُ *** ذَواهِبٌ في دَجَنِ السّحابِ رَواجِعُ

وقال **الهلالي:** صُفوفاً صُفوفاً كالعُقودِ تَناسَقَتْ *** عَلى صَفَحاتِ النّحْرِ والنّحْرُ ناصِعُ

وقال **الرسموكي:** إذا أبْرَقَتْ مِنْ جَرْيِها الموضُ الخطو *** فُ ترعِدُ ما بَيْنَ البُروقِ المدافِعُ

وقال **الزدوتي:** فَلا تَسْتَطيعُ العَيْنُ تَثَبّتَ عَدّها *** إذا اسْتَرْسَلَتْ في جَرْيِها تتدافَعُ

وقال **السكتاني:** كَأَنَّ الرّياحَ الهوجَ صِغْنَ قَوائِماً *** لَهُنّ فَكَيْفَ العاصِفاتُ النّوابِعُ

وقال **الهلالي:** خُيولٌ لها الألْوانُ شَتّى كَأَنّما *** تُلَوّنُ وَشْيٌ منْ قطائِفِ لامِعُ

وقال **الرسموكي:** وَلكِنّما الفُرْسانَ ما مِنْهُمْ سِوى *** أبى المِسْك عاليّهُم منَ الباسِ ساطِعُ

وقال **الزدوتي:** أناسي عيونَ العَصْرِ من بَأْسِهِم إذا *** يَعز أمامَ الزّاحِفينَ المدافِعُ

وقال **السكتاني:** قدِ ابْيَضّتِ الأخْلاقُ مِنْهُم وَكَمْ تَرى *** مِنْ أبيضٍ تَعْلوه الخلالُ السّوافعُ

وقال **الهلالي:** إذا لَمْ يَكُ الإنْسانُ أبْيَض شيمَةٍ *** أَأَرقبُهُ بيضَ الموشِياتِ النّواصِعُ

وقال **الرسموكي** : بَلا إنْ تَكُنْ بيضُ الخلالِ فإنّهُ *** وإنْ كانَ مُسْوَدّاً لا مجدَ فارِغُ

وقال **الزدوتي**: كأمْثالِ أبْطالِ البَهاليلِ هَؤلا *** ءِ مَنْ هُمْ شُموسٌ في السّباقِ لَوامِعُ

وقال **السكتاني**: على حِدَ اقبل ضَوامر. والصّفا *** إذا وَطِئتْ في جانِبَيْها يَرامِعُ

وقال **الهلالي**: فَلَولا مران الراكبيها ومرّةً *** بِأعْضادهِم والمحْكَماتُ القَوامِعُ

وقال **الرسموكي**: لَمّا انقَدْنَ هذا الانْقِيادَ كَما نَرى *** فتسلسل في أيْديهِم وتتابع

وقال **الزدوتي**: فَمَن شَمّتَهُ مِنْهُم وإنْ كانَ قارِحاً *** مُسِنّا يَرى في الطفْرِ أنّهُ يافِعُ

وقال **السكتاني**: إذا أظْهَروا في الحَلَبَةِ اليَوْمَ ما تَرى *** فَكَيْفَ تَراهمْ إذ تدورُ المِعامِعُ

وقال **الهلالي**: فَهَلْ كانَ هَذا اللّهْو إلا عَناوِنَ *** لِما هُوَ يَوْم الجَدِّ في الحَرْبِ واقِعُ؟

وقال **الرسموكي**: فكُلّ مَصونٍ بِالجُنودِ كَهذِهِ *** حَصينٌ إلى الآبادِ. ما هوَ ضائِعُ

قالوا: وهنا أشار إلينا الخليفة كفى كفى. فقد بالغتم. وفقتم فوق ما يطلب منكم. فلله در مجالس تعلمتم منها. وأمهات أرضعتكم بلبانها. (فعند الإمتحان يكرم الرجل أو يهان) ثم التفت إلى المكناسيين. فقال لهم بالله عليكم: أترون مثل هذه السرعة في مثل هذا الوصف القليل؟ وقد فرعوا فيه ما شاءت قرائحهم.حتى خفت عليهم انشقاق المرائر من كثرة التفكير. وهل هناك في المغرب اليوم مثل هذه السرعة في المساجلة؟[63]

➢ **الموضوع الثالث: المساجلات الشعرية بين شعراء الصحراء وشعراء المناطق السوسية.**

- **السياق**: ازدهر الشعر العربي بالصحراء مثل غيره من المناطق المغربية، فقول الشعر عند أهل الصحراء ممتد منبسط كانبساط صحاريها، ولا أدل على ذلك من قول **عباس الجراري**[64]: "الصحراء بطبيعتها شعر، وأهل الصحراء يكادون أن يكونوا كلهم شعراء بل إنهم يقولون الشعر كما يتنفسون الهواء"[65]، وساعد انفتاح الشعراء الصحراويين على غيرهم من شعراء المغرب، في مد جسور التواصل وتوطيد الصلة بينهم لتصل هذا اللون الشعري أوجه بين 1910م و 1960م.[66] ومن نماذج المساجلات ما دار بين عبد **الله بن محمد الإلغي**[67]، و**الشيخ ماء العينين بن لعتيق**[68]، و**الشيخ محمد الإمام**[69].

قال **عبد الله بن محمد الإلغي**[70] يخاطب **ماء العينين بن العتيق** لما وفد على إلغ، مرحبا به هو وصاحبه: أَما الْعَيْنِ يا نورَ إنْسانِها الَّذي*** جَلَوْتُ بِهِ السَّرّاءَ لائِحَةَ النَّقْشِ

أَنِخْ مَرْحَباً أَهْلاً وَصَحْبُكَ مَنْ بِهِمْ*** أَتَتْنا الْمُنى تَخْتالُ مُسْرِعَةً تَمْشي

وَقَرّوا عُيوناً إِنَّها دارُ سَيّدٍ*** يُلاقي النَّزيلَ بِالْمَسَرَّةِ وَالْهَشِّ

فأجابه **ماء العينين بن العتيق** قائلا:

أَنَخْنا بِكُمْ لِلَّهِ دَرُّ أَبيكُمُ*** فَبادَرْتُمْ بِالرَّحْبِ وَالْبَشِّ وَالْهَشِّ

بِدارِ مَنِ اعْتادَ الْقِرى فَكَأَنَّهُ*** يَضيقُ بِهِ ذِرْعاً فَراحَتُهُ تُفْشي

وَإِنّي أَرى سيمَ السِّيّادَةِ والْعُلا*** أَيا آلَ عَبْدَ اللَّهِدارُكُمُ تَغْشي

فأجابه أيضا **عبد الله** قائلا:

عَروسٌ غَدَتْ فَوْقَ الْأَرائِكِ وَالْعَرْشِ*** تَتيهُ دَلالاً غي غَلائِلِها الرَّقْشِ

وَلا لَوْمَ في شَرْعِ الصَّبابَةِ عِنْدَنا*** عَلَيْنا إِذا مِنْ رَوْحِ وَصْلٍ تَرَوَّحْنا

جَعَلْناهُ قُرْباً أَذْهَبَ الْبُعْدَ بَيْنَنا*** وَعَنّا بِهِ شَطْرَ التَّحَفُّظِ أَسْقَطْنا

وَآدابُكُمْ فَضْلاً تُمَهِّدُ عُذْرَنا*** وَعَلْياؤُكُمْ تُرْقيكُمُ ما تَسَنَّمْنا

فاجابه **الطاهر الإفراني** في قصيده بعنوان "**عذرناك**" قائلا:

عَذَرْناكَ مَوْلانا فَسِرْ حَيْثُ يَمَّمْنا*** وَساعَدَكَ الْإِقْبالُ مِن هِنْدٍ أَوْ لُبْنى

وَلا بَرِحَتْ يُمْناكَ تُجْري مُناكَ ما*** تَضاعَفَ حَرُّ الشَّوْقُ إِنْ قَرُبَ الْمَعْنى

وَإِنَّ مَلامي في انْبِعاثِ هَوامِسِ الْمُعَنَّى*** إِذا ما شامَ بَرْقَ الْحِمى حَنّا

وَطارَ بِهِ شَوْقُ اللِّقا وَتَسَرَّعَتْ*** رَكائِبُهُ كَأَنَّها تُفْهِمُ الْمَعْنى

فَما عَنَّفَ الْمُشْتاقَ إِلّا أَخو الْجَفا*** عَريضُ الْقَفا لَمْ تُصِبْهُ الْمُقَلَةُ الْوَسْنى

فَدُمْ واصِلاً خَوْضَ الصِّبا بِخَرائِدِ الْعُلى*** مازِجاً خَمْرَ الْمُنى بِاللّمى الْأَهْنا

فَإِنَّكَ نِعْمَ الْغَوْثُ وَالْغَيْثُ إِنْ دَجا*** مُلِمٌّ وَشَحَّ الْمُزْنُ مِنّا وَما مَنّى

عَلَيْكَ سَلامٌ مِن فُؤادٍ طَمى بِهِ*** هَواكَ إِلى أَنْ صارَ مَمْلوكَكَ الْقِنّا

وقال **علي بن عبد الله الإلغي** مخاطبا **الشيخ النعمة**[71] في قطعة بعنوان "**لك العذر**":

أَلا قُلْ لِمَنْ بِجاهِهِ قَدْ تَتَرَّسْنا*** وَمِنْ وَجْهِهِ كُلَّ الْكَمالِ تَوَسَّمْنا

وَمَنْ لَمْ يَزَلْ غَوْثَ الْوَرى فَبِجودِهِ*** وَإِقْدامِهِ مِنْ كُلِّ هَوْلٍ تَنَفَّسْنا

وَمَنْ لَمْ نَزَلْ نَسْتَنْشِقُ الطِّيبَ ساطِعاً*** بِراحَتِهِ السَّمْحاءَ إِمّا تَصافَحْنا

وَمَنْ رَشَّحَتْهُ لِلسِّيادَةِ وَالتُّقى*** يَدٌ عَنْ جَزا إِحْسانِها قَدْ تَقاصَرْنا

لَكَ الْعُذْرُ إِنْ أَوْضَعْتَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ*** حُقوقاً قَضاها عَزْمُ هِمَّتِكُمْ شَأْنا

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يا خَيْرَ مُنْشِئٍ*** لِلْأَرْواحِ رَوْحِ الْوَصْلِ شَوْقاً تَنَسَّمْنا

وقال **أبو الحسن الإلغي**[72] يخاطب **الشيخ محمد الإمام**:

طَلَعْتُمْ طُلوعَ الشَّمْسِ بَعْدَ غَمامِ*** فَأَبْرَءَ جُرْحُ الْقَلْبِ بَعْدَ كَلامِ

حَلَلْتُمْ مَحَلّا مُسْتَطيراً بِنَزْلِكُمْ*** فَأَشْكُرُ دَهْري إِذْ رَعى لِذِمامي

أَتاني بِخَيْرِ الْفاضِلينَ عَلى جَوا*** إِلَيْهِمْ وَشَوْقٌ ضاقَ عَنْهُ حِزامِ

فَلَمْ يَكُ أَحْلى مِنْ وِصالِ أَخايِرٍ*** مُحَيّاهُمُ في الْعَيْنِ بَدْرُ تَمامِ

أَنيخوا أَنيخو فَالدِّيارُ دِيارُكُمْ*** وَهَذا الْعُبَيْدُ خادِمٌ كَغُلامِ

عَلَيْكُمْ سَلامُ اللهِ ساعَةَ وَصْلِكُمْ*** أَيا مَنْ لِقاهُمْ كانَ كُلَّ مَرامي

فأجابه **الشيخ محمد الإمام** قائلا:

أَزَهْرُ نُجومٍ أَمْ بُدورُ تَمامِ*** أَزَهْرُ أَكامٍ ذا أَحَبُّ غَمامِ

أَمِ الدُّرُّ مِنْ بَحْرِ الْهُدى قَذَفَتْ بِهِ*** قَريحَةُ حِبْرٍ في الْعُلومِ هُمامِ

عَلى أَنَّهُ أَبْهى مِنَ الدُّرِّ مَنْظَراً*** وَيَفْعَلُ بِالْأَلْبابِ فِعْلَ مُدامِ

عَلِيُّ الْمَقامِ اسْماً عَلى مِثْلِ وَسْمِهِ*** كَريمُ الْفُروعِ يَنْتَمي لِكِرامِ

حَوى فَضْلُهُمْ مَعَ فَضْلِهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ*** سِواهُمْ لَسَوَّدَتْهُ نَفْسُ عِصامِ

فَكُنْ لِأَميرِ الْمُؤْمِنينَ مُؤازِراً*** فَقَدْ قَلَّ مَنْ يَدْري حُقوقَ إِمامِ

فَلا زِلْتَ في عَيْنِ الْعَدُوِّ قَذىً لَها*** وَدُمْتَ لِحُبِّ الدّينِ خَيْرَ حُسامِ

وقال **محمد يحي الولاتي**[73] مخاطبا أهل إلغ التي اشتهرت باسمها الأمازيغي (**الدُّ ڭادير**) أي تحت الحصن:

يَأَهْلَ تَحْت الحِصْنِ أَنْتُمْ فَوْقَهُ*** مَعْنًى وَحِصْنُكُمْ بِعِلْمٍ يَشْرُفُ

ما ضَرَّ مَنْ بِالْفَوْقِ مَعْنًى وَصْفُهُ*** أَنْ كانَ في حَسٍّ بِتَحْتٍ يوصَفُ

فارْقَوْا بِجِدٍّ وَاجْتِهادٍ لِلْعُلا*** تَرْقوا مَعالي حَدُّها لا يوصَفُ

وقال **ماء العينين ابن العتيق** في غير الروي:

يا آلَ تَحْتَ الْحِصْنِ إِنْ يَقَعِ النَّوى*** فَبِحِفْظِ وُدِّكُمُ الْفُؤادُ زَعيمُ

لا زِلْتُمُ مَأْتى الْوُفودِ وَإِنْ دَهَتْ*** سِنَةٌ وَناب مِنَ الْخُطوبِ عَظيمُ

إِنّا بَلَوْناكُمْ فَأَلْفَيْناكُمُ*** ما مِنْكُمُ في النّائِباتِ مُليمُ

لَمْ تَفْجُروا فَطِباعُكُمْ مَحْمودَةٌ*** وَالْعِرْضُ مِمّا يُسْتَذَمُّ سَليمُ

إِنْتُمْ مُناخُ بَني السَّبيلِ وَحَيُّكُمْ*** أَبَداً بِقارِعَةِ الطَّريقِ مُقيمُ

إِنِ امْرُأً جَعَلَ الطَّريقَ لِبابِهِ*** طَلَباً وأَدّى حَقَّهُ لَكَريمُ

فَعَلَيكُمُ أَسْمى التَّحايا ما شَدَتْ*** وُرْقٌ عَلى أَيْكٍ وَهَبَّ نَسيمُ

فأجابهما **الحسن البونعماني**[74] قائلا:

لِلَّهِ ما قَدْ هاجَ ذاكَ الْمَوْقِفُ*** وَعُيونُ إِلْغَ مِنَ الْوَداعِ تُكَفْكِفُ

نَظَموا دُموعَهُمُ قَصائِدَ وَهِيَ في*** حُسْنٍ أَجَلَّ مِنَ الْعُقودِ وَأَشْرَفُ

كَمْ تَوَّجوا قَبْلَ الرَّحيلِ مَجالِساً*** وَلَكَمْ بِشِعْرِهِمُ الْمَسامِعُ شَنَّفوا

ذُهِلَ الْمُوَدِّعُ وَالْمُوَدَّعُ لِلنَّوى*** فَكَأَنَّما دارَتْ هُناكَ الْقَرْقَفُ

حُيِّيتِ إِلْغُ فَما أَجَلَّكِ مَجْمَعاً*** لِوُفودِ شِعْرٍ أَيْنَ مَنْ يَسْتَنْكِفُ

عُلَماءُ صَحْراءِ الْفَسيحَةِ جَدَّدوا*** فيها عُكاظاً لِلنُّهى تَسْتَوْقِفُ

أَحْيا الْوَلاتي في الْمَواتِ حَدائِقاً*** غُلْباً بِفِكْرٍ في الْمَعارِفِ تُقْطَفُ

وَابْنُ الْعَتيقِ مُطَرِّبٌ بِقَريضِهِ*** وَعَلَيْهِ أَعْلامُ الْبَيانِ تُرَفْرِفُ

وَعَلَيْهِما نُبَغاءُ إِلْغٍ أَغْدَقوا*** كَرَماً وَآداباً وَما يُسْتَظْرَفُ

هُمْ أَفْعَموا مِنْ كُلِّ فَنٍّ أَكْؤُساً*** لِلْوافِدينَ وَبُالنَّوادِرِ أَتْحَفُوا

صِفْ بِالْمَفاخِرِ إِلغَ وَهْيَ جَديرَةٌ*** وَأَنا بِإِلْغٍ في الْمَفاخِرِ أُعْرَفُ

خلاصة:

تأخذنا المسجلات الشعريه في سوس وبين شعراء سوس والصحراء، إلى الانفتاح على عوالم من المعرفة يمكن أن تكون موضوعات كبرى لأطاريح ودراسات تؤرخ لحقب زمنية، أو تبحث عن المواد الثقافية والقيم الاجتماعية والتربوية والاخلاقية للمجتمع خلال طور من الاطوار. فالجزء الثامن عشر من المعسول يتضمن كتاب "نفحات الشباب" لمؤلف روداني مجهول، في طياته مسجلات حول عبيد البخاري خلال فتره حكم محمد العالم بن المولى اسماعيل، يمكن أن تكون هذه المسجلات عنوانا لدراسات عن السخرية في المجالات الشعرية، أو دراسات تاريخية لمنطقة سوس خلال حكم محمد للعالم، وهلم جراء. فالمسجلات الشعرية شكلت منذ ازدهارها بسوس إلى بدايات القرن العشرين، موضوعا خصبا منفتحا على كافة المجالات العلمية والادبية، كما وطدت الصلة بين شعراء المغرب شمالا وجنوبا، ولا أدل على ذلك ما نقلناه في الموضوع الثالث للمسجلات بين شعراء سوس وإخوانهم بالصحراء. كما عبرت كذلك عن حب السوسي للغة العربية ونبوغه فيها ليضاهي إخوانه المغاربة في الصحراء وفي الشمال، ومن ثمة يمكن أن نتحدث عن مغرب عربي إسلامي موحد.

خاتمة

شكل موضوع المساجلات بسوس مادة دسمة لدى الحركة الفكرية بالجنوب المغربي، وذلك لما تناولته من منظومات شعرية ربطت الماضي بالحاضر في بنيتها ومقوماتها فيما يخص وحدة الروي والقافية واتباع نفس البحر، على نهج شعر القصيدة العمودية في العصر الجاهلي، وقد ساعد المتساجلين من علماء سوس في زمانهم ضلوعهم واتساع معرفتهم بالشعر في مختلف العصور القديمة امتدادا من العصر الجاهلي، مرورا بالعصر الإسلامي، ثم العصر العباسي، ثم العصر الأموي، وبأهل هذه العصور على امتدادها، كما ربطت الأدب بقضايا الساعة، حيث تناولت هذه المساجلات في مضامينها مواضيع مختلفة، حققت بواسطتها وظائف عديدة، منها ما هو اجتماعي يتحقق في المسامرات وجلسات الشاي وتوطيد الصلة بين العلماء والفقهاء والأدباء في كل أركان البلاد، ومنها ماهو علمي محض يتحقق في تبادل العلوم الدينية واللغوية بين مختلف العلماء بمشارب البلاد الاسلامية وبسوس خاصة، ومنها ما هو تأريخي تمثل في نقل الأحداث وتقلبات أحوال البلاد إلى نظم شعري يحفظها من براثين النسيان، ومنها ما هو ثقافي تجلى في حفظ المادة الثقافية المتنوعة بالمغرب عامة وبسوس خاصة، كما في كتب الرحلات وما ورد في مختلف دواوين السوسيين المهتمين بتاريخ سوس، ومنها ما هو تداولي حاكى المتداول بين الفقهاء والأدباء المتساجلين من مستجدات ومستحدثات على الساحة السياسية خاصة، ثم ما تحقق في الوظيفة النقدية لمواضيع متعددة من قبيل ما نشر في مؤلف "نفحات الشباب" من مساجلات، لنستشف بذلك أن المساجلات الشعرية بسوس، ليست بأقل أهمية من باقي الكتابات الشعرية والسردية السوسية الأخرى كالمختصرات والشروحات والمقامات والرواية والكتابات الذاتية والنوادر وكتب الرحلات وغير ذلك من المؤلفات التي زخرت بها الساحة السوسية إلى الماضي القريب، وقد احتلت المساجلات حيزا هاما من اهتمام الأدباء بالجنوب المغربي لاهتمامهم بالشعر وفطرتهم على نظمه، بل وتنافسهم بذلك. ففي مطلع القرن التاسع عشر زخرت المؤلفات بالجنوب المغربي بالعديد من المساجلات نقلت لمواضيع مختلفة، تنم عن براعة ودهاء العالم والفقيه والاديب المغربي عامة والسوسي والصحراوي خاصة.

الهوامش:

[1] / دراسات في شعر الصحراء، ماء العينين النعمة علي، منشورات جمعية الشيخ ماء العينين، مطبعة الأمنية – الرباط، ط: 1، 1436هـ/ 2015م، ص: 157.

[2] / لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1997م، المجلد الثالث، مادة، سجل.

[3] / المصدر نفسه.

[4] / القاموس المحيط، الفيروز أبادي، توفي (817هـ)، باب اللام، فصل السين.

[5] / تاج العروس، الزبيدي، من جواهر القاموس، علي السيري، دار الفكر، ط: 1994م، المجلد 14، ص: 333-334.

[6] / البيان والتبيين، الجاحظ، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2، 1998م، ج 1، ص:9.

[7] / مقامات الحريري المسمى المقامات الأدبية، الحريري البصري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2014م، ص: 57.

[8] / جدلية المصطلح والنظرية النقدية، توفيق الزيدي، نقلا عن باشا العيادي، فن المناظرة في الأدب العربي، دراسة أسلوبية تداولية، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط 1، 2014م، ص: 57.

[9] / السجال في الأدب العربي، أشكاله ووظائفه، باشا العيادي، مجلة الأزمنة الحديثة، الرباط، المغرب، ع5، 2012م، ص: 199.

[10] / لسان العرب، المجلد الثالث، مادة، نقض.

[11] / صورة المهجو في شعر النقائض،أطروحة جامعية، لؤي موفق الحاج علي، إشراف الدكتور: نجود عطا الله الحوامد، جامعة جرش، الأردن، خزيران 2015، صفحة 8. (بتصرّف).

[1212] / تاريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشايب، الطبعة الثانية، 1954م، ص: 45، (باختصار).

[13] / الحارث بن عباد البكري (توفي نحو 50 ق هـ / 570 م)؛ حكيم، شاعر وسيد من سادات العرب في الجاهلية. انتهت إليه إمرة بني ضبيعة وهو شاب. (أنظر كتاب الاعلام للزركلي، ج: 02، ص: 156).

[14] / المهلهل (نحو 100 ق هـ / نحو 525 م) عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، من بني بجشم، من تغلب، أبو ليلى، المهلهل: شاعر، من أبطال العرب في الجاهلية. من أهل نجد. وهو خال امرئ القيس الشاعر. قيل: لقب مهلهلا، لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أي رققه. (أنظر كتاب الاعلام للزركلي، ج: 04، ص: 220).

[15] / الخطاب في شعر النقائض، جبارية مصطفاوي، دراسة تداولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستر في الآداب واللغة العربية، السنة الجامعية: 2016/2015، ص: 29. (بتصرف)

[16] / جرير: هو جرير بن عطية بن حذيفة الكلبي اليربوعي، ولد في اليمامة عام 28 هـ، وكان من أشعر وأغزر شعراء أهل عصره، ولم يثبت أمام شعره إلا الفرزدق. (أنظر كتاب الأعلام، الزركلي، ج: 2، ص: 119).

[17] / الأخطل: هو كعب سماه الأخطل، وذلك أنه سمعه ينشد هجاء فقال يا غلام، إنك لأخطل اللسان"، وكان شاعرًا مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع غياث بن غوث الصلت بن طارقة بن عمرو بن تغلب، والأخطل لقب غلب عليه، حيث جاء في طبقات فحول الشعراء لابن سلام، أنه قال: "وكان. (أنظر كتاب الأعلام، الزركلي، ج: 5، ص: 123.)

[18] / الفرزدق: هو همام بن غالب بن صعصعة المعروف بالفرزدق، هو شاعر من النبلاء من أهل البصرة، وله أثر واضح في اللغة، حيث قيل: (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة أهل العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس)، هو من شعراء الطبقة الأولى وصاحب الأخبار مع جرير والأخطل، وتعد مهاجاته لهما من أشهر ذلك.(أنظر كتاب الأعلام ، الزركلي، ج: 8، ص: 93.)

[19] / القيمة الفنية في شعر النقائض، إلهام مشهود،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماسترفي الأدب العربي، جامعة مستغانم، الموسم الدراسي:2019/2018.، صفحة 9. (بتصرّف).

[20] / مختار الصحاح زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (1420هـ - 1999م)، (الطبعة الخامسة)، بيروت: الدار النموذجية، الجزأ الأول، صفحة 205.

[21] / تاريخ النقائض في الشعر العربي، صفحة 7.

[22] / أحمد بن علي بن أحمد شوقي، (1868م/ 1932م)، لقب بأمير الشعراء، مولده ووفاته بالقاهرة، كتب عن نفسه: (سمعت عن أبي يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب). (أنظر كتاب الأعلام، الزركلي، ج:1، ص: 136.)

[23] / البحتري (206 - 284 هـ = 821 - 898 م) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري: شاعر كبير، يقال لشعره " سلاسل الذهب ". وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم. (المصدر نفسه، ج: 8، ص: 121.)

[24] / أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أَبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّي: (303 - 354 هـ = 915 - 965 م) الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربيّ. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين. ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته. (المصدر نفسه، ج: 1، ص: 115.)

[25] / حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: (188 - 231 هـ = 804 - 846 م) الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين

حتى توفي بها. كان أسمر طويلا. فصيحا، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع. في شعره قوة وجزالة. (المصدر نفسه، ج:2، ص: 165.)

[26] / محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله: (608 - 696 هـ = 1212 - 1296 م) شاعر، حسن الديباجة، مليح المعاني. نسبته إلى بوصير (من أعمال بني سويف، بمصر) أمّه منها. وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون. ومولده في بهشيم من أعما البهنساوية. ووفاته بالإسكندرية. له (ديوان شعر - ط) وأشهر شعره البردة، ومطلعها: (أمن تذكّر جيران بذي سلم) شرحها وعارضها كثيرون، والهمزية، ومطلعها: (كيف ترقى رقيك الأنبياء). (المصدر نفسه، ج:6، ص: 139.)

[27] / أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون، المخزومي الأندلسي، أبو الوليد: وزير كاتب شاعر، من أهل قرطبة، انقطع إلى ابن جهور (من ملوك الطوائف بالأندلس) فكان السفير بينه وبين الأندلس، فأعجبوا به. وفي الكتاب من يلقب ابن زيدون ب (بحتريّ المغرب) وهو صاحب (أضحى التنائي بديلا من تدانينا) من القصائد المعروفة. (المصدر نفسه، ج: 1، ص: 158.)

[28]/ المعارضات الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي، بتصرف عبد الرؤوف زهدي مصطفى، عمر الأسعد (2009)، ص:904،905،911،916،919.، (بتصرف).

[29] / دراسات في شعر الصحراء، ص:157.

[30] / المعسول، محمد المختار السوسي، ج: 18، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، 1961، ص: 287.

[31]/ محمد بن عبد الله الزدوتي: أديب متضلع في الأدب العربي، لا نعلم عنه إلا ما ورد في مؤلف "نفحات الشباب" لمؤلف روداني مجهول ورد في الجزء 18 من المعسول لمحمد المختار السوسي.

[32] / سيدي ابراهيم بن محمد السكتاني: ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد المومن، انقطع إلى (تامگروت) حيث أخذ الفنون. وفي آخر كتب كثيرة من منسوخات يده أنه نسخها هناك. وبعضها مؤرخ بعام 1158هـ، ثم التحق ب (فاس) حيث استتم ما كان في حاجة إليه. (أنظر المعسول، ج:18، ص: 192).

[33] / سيدي محمد بن الحسن الهلالي –الإيلاني–، لا نعلم عنه إلا ما ورد في المعسول، الجزء: 18، ص: 286.

[34] / سيدي محمد بن أحمد الرسموكي: محمد بن أحمد بن محمد بن يعزى بن عبد السميح_الثاني_ أديب كبير متضلع بالأدب العالي، تخرج بأبيه، لاحظه السعد، فخلده الروداني في كتابه (نفحات الشباب)، ولا نعلم عنه إلا ما في هذا الكتاب الذي أفادنا عنه وعن كثير من معاصريه من قبيل محمد بن عبد الله الزدوتي، ومحمد بن الحسن الهلالي الإيلاني، وأبو زيد الجشتيمي، ومصعب بن عبد الله الفرضي. (أنظر المعسول، ج: 18، ص: 286).

[35] / المعسول، ج: 18، ص: 287.

[36] / المعسول، ج: 18، ص: 287.

[37]/ دراسات في شعر الصحراء، ص: 157.

[38] / المساجلات الشعرية وأثرها في تطور الشعر في صدر الإسلام، محمد صبحي عبد الفتاح جمال، المجلد 12، العدد:5 أكتوبر 2008م، ص:3672.

[39] / المعسول، ج: 18، ص: 287.

[40] / المساجلات الشعرية وأثرها في تطور الشعر في صدر الإسلام، ص:3673.

[41] / محمد المختار بن علي بن أحمد الإلغي السوسي: (1318 - 1383 هـ = 1900م - 1963 م) مؤرخ فقيه أديب، يقول الشعر، ويعرف بوزير التاج. ولد في بلدة (إلغ) بجبال (سوس) جنوبي المغرب. من أسرة علمية بربرية. وكان والده أكبر شيوخ الطريقة (الدرقاوية) ونشأ هو نشأة تصوفية. وتعلم العربية فبرع فيها وقرأ علوم الدين والأدب في سوس ومراكش ثم بفاس. وصار سلفي العقيدة. وصنف عدة تآليف أهمها كتاب المعسول في عشرين مجلدا، في تاريخ إقليم (سوس) وقبائله وأسره وأدبائه ورجالاته. ولما قام الفرنسيون بإصدار الظهير البربري، أيام الحماية، عارضهم وجاهر في منطقته بالحركة الوطنية فقبضوا عليه وجعلوه في أحد المعتقلات مع زملائه من كبار الوطنيين المغاربة ثم أخرجوه وأجبروه (أنظر المعسول ج: 7،ص: 92).

[42] / سوس العالمة، محمد المختار السوسي، ص:75.

[43] / ابراهيم الجشتاني، لا نعلم عنه إلا ما ورد في المعسول، الجزء: 18، ص: 286.

[44] / سوس العالمة، ص: 95.

[45] / (الإفراني): (1306 – 1377 هـ = 1888 – 1957 م) محمد بن الطاهر بن محمد بن إبراهيم الإفراني: فقيه من علماء المغرب. نشأ في بيئة علمية بإفران. وعمل في التدريس أكثر حياته. ولما تولى الملك محمد الخامس عرش المغرب عينه عضوا في المجلس الاستشاري للحكومة، فكان يتردد إلى الرباط ويحضر المجلس، إلى أن توفي ببلده. له نظم كثير ومساجلات ومطارحات مع أبيه وشعراء عصره أتى صاحب المعسول على طائفة كبيرة منها. (أنظر كتاب الأعلام، ج: 6، ص: 174).

[46] / أبو العباس الجشتيمي: (1143هـ – 1198 هـ = 1730م – 1784 م) عبد الله بن محمد بن الحسن الجشتيمي: فقيه مغربي سوسي. كان يعمل في النسخ، وما زالت منسوخاته محفوظة الى عهد قريب. وصنف كتبا، منها " مناسك الحج – خ " صغير في مكتبة المختار السوسي، و " مختصر نسيم الرياض للخفاجي – خ " في مجلدين كان يدرّس به كثيرا، قال صاحب المعسول: رأيت منه نسخة في دار آل الشيخ سيدي المدني الناصري، و " مجموعة إجازات – خ " " عند صاحب المعسول. وتوفي في الحج. (أنظر الأعلام، ج: 04، ص: 130).

[47] / سوس العالمة، ص: 114، 115 (بتصرف).

[48] / القاضي سيدي موسى الروداني: (1283هـ_ 1362هـ)، هو موسى بن العربي بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد، ولد في قرية (تيروكت) ب(رسموكة) إحدى قبائل (جزولة). (أنظر المعسول، ج:18، ص: 05).

[49] / ابن عينين: الصاحب الرئيس الأديب شاعر وقته شرف الدين محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن بن عنين الأنصاري الدمشقي الزرعي. مات سنة ثلاثين وستمائة عن إحدى وثمانين سنة. (أنظر سير الأعلام والنبلاء، تصنيف الأمام شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة (748هـ/ 1484م)، الجزء: 22، حقق هذا الجزء: الدكتور بشار عواد معروف والدكتور محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، الطبعة: 1، (1405هـ/ 1985م)، ص: 363.).

[50] / أبو الطيب المتنبي (303 – 354 هـ = 915 – 965 م) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي: الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وفي علماء الأدب من يعده أشعر الاسلاميين. ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته. (أنظر كتاب الأعلام، ج: 1، ص: 115).

[51] / المعسول، ج: 185، ص: 17/16 (بتصرف).

[52] / محمد (العباسي) بن محمد أمين ابن محمد المهدي الكبير: (1243هـ– 1315 هـ = 1827م – 1897 م) مفتي الديار المصرية، وأول من تولى مشيخة الأزهر، من فقهاء الحنفية. ولد بالإسكندرية. وتعلم بالقاهرة. وتولى الإفتاء سنة ١٢٦٤هـ وأضيف إليه مشيخة الأزهر (1287) (أنظر كتاب الأعلام، ج: 7، ص: 75).

[53] / المعسول، ج: 18، ص: 297.

[54] / المصدر نفسه، ص: 302.

[55] / شذرات من تاريخ سوس الأدبي والسياسي خلال القرن التاسع عشر، ترجمة وتقديم: حسن الطالب، عبد السلام أقلمون، يليه، نفحات الشباب، لمؤلف روداني مجهول، دراسة وتحقيق: محمد الصالحي، ص: 141.

[56] / النابغة الذبياني (... – نحو 18 ق هـ –... – نحو 604 م) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الاشراف في الجاهلية. (الأعلام، ج: 3، ص: 54_ 55).

[57] / النابغة الجعدي بن جعدة بن كعب بن ربيعة، من بني عامر بن صعصعة، من عدنا، (انظر الأعلام ،ج: 2، ص: 121).

[58] / المعسول، ج:18، ص: 299، 300 (بتصرف).

[59] / أبو فارس: فقيه معتزلي عارف بالفلسفة، يرمى بالزندقة. وهو رأس الطائفة (المريسية) القائلة بالإرجاء، وإليه نسبتها. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف، وقال برأي الجهمية، وأوذي في دولة هارون الرشيد. وكان جده مولى لزيد بن الخطاب. وقيل: كان أبوه يهوديا. وهو من أهل بغداد ينسب إلى (درب المريس) فيها. عاش نحو ٧٠ عاما. وقالوا في وصفه: كان قصيرا، دميم المنظر، وسخ الثياب، وافر الشعر، كبير الرأس والأذنين. له تصانيف. (أنظر الأعلام للزركلي، ج:2، ص: 55).

[60] / بَشَّارُ بنُ بُرْدٍ: ابن بسير = الطيب بن إبراهيم البسيوني = محمد علي 1310 بش بشار بن برد (95 – 167 هـ = 714 – 784 م) بشار بن برد العقيلي، بالولاء، أبو معاذ: أشعر المولدين على الاطلاق. أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة (عقيلية) قيل إنها أعتقته من الرق. وكان ضريرا. نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. (أنظر الأعلام، ج: 2، ص: 52).

[61] / مسلم بن الوليد الأنصاري، بالولاء، أبو الوليد، المعروف بصريع الغواني (ت 208 هـ – 832 م) شاعر غزل، هو أول من أكثر من (البديع) وتبعه الشعراء فيه. وهو من أهل الكوفة. نزل بغداد، فأنشد الرشيدَ العباسيَّ قوله: (وما العيش إلا أن تروح مع الصبى وتغدو، صريع الكأس والأعين النجل) فلقّبه بصريع الغواني، فعرف به. (أنظر الأعلام، ج: 7، ص: 223).

[62] / المعسول، ج:18، ص: 292، 293.

[63] / المعسول، ج:18، "نفحات الشباب" لمؤلف روداني مجهول، ص: 315، 316، 317.

[64] / عباس الجراري: (15 فبراير 1937) ولد بالرباط، إنه الأديب والمفكر المبدع عباس الجراري، نجل فقيد المعرفة النافعة والجهاد الصادق والثقافة الغنية عبد الله الجراري، رحمه الله، مبدع ذكر اللطيف الوطني ضد الظهير البربري إبان فترة الحجر والاستعمار الفرنسي. عباس الجراري، الرجل الذي حمل همّ الدولة والوطن عندما اقتضت أمورها أن يكون من بين مستشاري قائد الدولة، الفتى الذي حافظ في فكره وثقافته وأدبه على الخصوصية المغربية عندما كتب وألف عشرات الكتب وألقى عشرات المحاضرات والدروس في الشعر والفنون والأدب والتراث، الإنسان الذي أتقن فن التواصل عندما كان ديبلوماسيا، الواعظ الذي أجاد في تقديم الموعظة الحسنة عندما كان فقيها عالما وخطيبا بالمسجد، كلها تقوم مقام الشواهد على رفعة منزلته، وسمو درجته، وسعة خدماته للبلاد والعباد وللإنسانية. (أنظر الجريدة الالكترونية هسبريس، الأربعاء 2 ماي 2018 – 08:45)

[65]/ شعر الصحراء، عباس الجراري، مجلة دعوة الحق، العدد: 273، التاريخ: 30 يناير– مارس 1989م، ص: 113.

[66] / دراسات في شعر الصحراء، ص: 157 (بتصرف).

[67] / عبد الله بن محمد الإلغي: (1298هـ/ 1880م_ 1378هـ/ 1958م)، ولد في قرية إلغ، درس القرآن الكريم على سعيد بن عبد المومن التاويتي عام 1891، ثم التحق لشيخ الجماعة محمد بن الحسن بالأخصاص، بعد ذلك توجه إلى المدرسة الإلغية الإيغشانية والتانكرتية، حيث حفظ المتون وتلقى العلوم الشرعية والأدبية واللغوية وفنون القريض عن محمد بن الحاج الإفراني والعربي الساموكني، وأبي القاسم التاجرمونتي، كما درس "لامية العجم"، و"نفح الطيب"، و"القريض" على يد محمد الإفراني، تخرج على يده العديد من طلاب العلم، كما تولى القضاء والإفتاء. (أنظر المعسول، ج: 2، ص: 182). بتصرف.

[68] / ماء العينين بن العتيق بن محمد فاضل بن محمد الليل، وأمه السيدة الفاضلة العالية بنت شيخنا الشيخ ماء العينين: (1306هـ/ 1888م_)، كفله جده الشيخ ماء العينين بعد وفاة والده، ودرسه القرآن الكريم ورسمه وأخذ فيه الإجازة عنه، ثم درس عليه جميع العلوم التي كانت متداولة في تلك الفترة، من فقه وأصول وحديث ونحو وتصريف وبلاغة وبيان ومنطق وفلك وعروض وحساب وسِيَرٍ، رتبه مدرسات بمدينة السمارة. تقلد منصب القضاء في مدينة طان طان سنة 1935م، وظل يشتغل بها إلى سنة 1956م، حيث عين أستاذا بكلية ابن يوسف بمدينة مراكش. من مؤلفاته: "تحفة المكاتب بقراءة شيخنا الشيخ ماء العينين لحزبه الراتب"، و"البغية من ملخص الأحكام الشرعية على المستند من مذهب المالكية"، و"مطالع الأنوار في المديح المختار" و"الرحلة المعينية" وغيرها. (الرحلة المعينية، ماء العينين بن العتيق، تحقيق محمد الظريف، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1998، ص: 23) (ديوان ماء العينين بن العتيق، تحقيق محمد الظريف، مطبعة بني زناس، سلا، 2004، ص: 13). بتصرف.

[69] / الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين: (1310هـ/ 1892م_ 1389هـ/ 1970م)، هو اديب وعالم وشاعر، تقلد مناصب عديدة سامية بعد الاستقلال، وتزعم أنشطة سياسية في الأقاليم الجنوبية، وأسهم بدور فعال في الدفاع عن الوحدة الترابية، خلف أعمالا أدبية وعلمية غزيرة، منها: ديوان شعر، و"الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنقيط"، و"إسعاف السائل". (أنظر المعسول، ج: 4، ص: 284). بتصرف.

[70] / عبد الله بن محمد الإلغي: (1298هـ/ 1880م_ 1378هـ/ 1958م)، ولد في قرية إلغ، درس القرآن الكريم على سعيد بن عبد المومن التاويتي عام 1891، ثم التحق لشيخ الجماعة محمد بن الحسن بالأخصاص، بعد ذلك توجه إلى المدرسة الإلغية الإيغشانية والتانكرتية، حيث حفظ المتون وتلقى العلوم الشرعية والأدبية واللغوية وفنون القريض عن محمد بن الحاج الإفراني والعربي الساموكني، وأبي القاسم التاجرمونتي، كما درس "لامية العجم"، و"نفح الطيب"، و"القريض" على يد محمد الإفراني، تخرج على يده العديد من طلاب العلم، كما تولى القضاء والإفتاء. (أنظر المعسول، ج: 2، ص: 182). بتصرف.

[71] / الشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين:(1300هـ/ 1882م_ 1339هـ/1921م)، اشتغل بالتدريس في سوس، وظل يتنقل بين عدد من قراه في تيزنيت وأيت رخا ووجان، خاض معارك ضد القوات الفرنسية، وتوفي بكردوس في زيارة لأخيه مربيه ربه، ودفن إلى جانب الهيبة. (أنظر المعسول، ج: 4، ص: 273) بتصرف.

[72] / أبو الحسن الإلغي، علي بن أحمد بن محمد، أبو الحسن السوسي الإلغي الدرقاوي، ويقال له الحاج علي السوسي: (1268هـ- 1328 هـ = 1852م – 1910 م) متصوف واعظ، كثير النظم بالعربية والشلحة البربرية. ولد في بقعة صحراوية جنوبي " إلغ " بالمغرب – ونشأ وتعلم في إلغ، وأدوز. وتصوف على الطريقة الدرقاوية (واليها نسبته) وساح مع بعض " الفقراء " الى أن بلغ بلدة سلا (بجوار الرباط) ثم عاد إلى " إلغ " وأصبح له تلاميذ ومريدون، فساعدوه على إنشاء زاوية تصدّر بها للتدريس والوعظ. واشتهر. وحج (سنة ١٣٠٥) وقام برحلات في المغرب للوعظ والإرشاد. وتوفي في إلغ. له " رحلة الحج " في رجز نحو ألفي بيت، وصف بها بعض بلدن المغرب والمشرق، ومشاعداته فيها، هذّبها ولده محمد المختار السوسي وسماها " أصفى الموارد، في تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد – ط " و " عقد الجمان – خ " رسالة في آداب التصوف، لم يتمها. وترجم الى الشلحة أكثر " الحكم العطائية " نظما. (أنظر الأعلام للزركلي، ج: 4، ص: 206).

[73] / محمد يحي الولاتي، هو محمد يحي بن محمد المختار الداودي بن الطالب عبد الله الشنقيطي الولاتي المدعو بابا الفقيه الولاتي. (1259هـ/ 1841م_ 1330هـ/ 1912م)، ولد بالحوض الشرقي ببلاد شنقيط، وبها توفي، عالم وفقيه وأديب ولغوي كبير تنقل بين عدة دول منها: تونس والمغرب والحجاز ودرس بها، وكانت له محاورات ومناظرات فكرية وعلمية مع عدد كبير من علماء وأدباء هذه الدول. من مؤلفاته: "شرح صحيح البخاري"، وكتاب "مصطلح الحديث"، و"منبع الحق"، وغيرها. (أنظر أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق، بحيد بن الشيخ يربان الادريسي، دار النشر الدولي، الطبعة الأولى، 1430هـ/ 2009م، السعودية، الرياض، ص: 395).

[74] / الحسن البونعماني: هو الحسن بن سيدي أحمد بن مسعود المعروف بالبونعماني:(1328هـ/1910م_ 1402هـ/ 1982م)، ولد بقرية المعدر شمال مدينة تيزنيت، وتلقى تعليمه الأول على يد والده سيدي أحمد بن مسعود، ثم درس على عدد من العلماء والفقهاء في عدة مدارس علمية عتيقة في سوس منهم: إبراهيم إبلاغن وأحمد بن سالم الإبراييمي وامبارك لعروسي المعدري والحاج مسعود الوفقاوي وداود الرسموكي، ثم انتقل إلى مراكش ودرس على علمائها في جامعة ابن يوسف، ثم رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها في جامعة القرويين، واشتغل مدرسا بالمدرسة العليا بالرباط، وكاتب بالمجلس الأعلى للاستئناف الشرعي بالرباط، وأول رئيس لمحكمة السادس بمراكش، وأول باشا لمدينة أكادير بعد الاستقلال، ومديرا للخزانة الملكية بالقصر الملكي بالرباط أواخر سنة 1961م، ثم استقر بأكادير بعد التقاعد إلى توفي بها. (ديوان الحسن البونعماني، تحقيق الحسن أفا، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، بالرباط، 1996م)